الصيغة تتطلب السلم ، او تتطلب ايقاف الحرب · لان الحرب الاخيرة امعنت في الاطالة والانتشار لدرجة انها حددت المجتمع اللبناني على انه مجتمع يعيش ابناؤه في حالة حرب دائمة ، وما فترات السلم الا استراحة لاراحة السلاح واعادات النظر ·

هكذا ، في حالات الصراع تضمر الصيغة وتصبح الحلم الهزيل ، ثم تعود لتنفتح في ازمة الهدنة · وهكذا يعيش المؤمنون بالحلم اللبناني المتميز الفريد في جدلية تتردد بين الايديولوجيا والواقع ، بين السلم والحرب ·

وليس في هذه الحرب وحدها عانى « اللبنانيون » هذه المعضلة المأساة · في ١٨٦٠ ارتد الكثير من الادباء اللبنانيين الى ما وصفه امين ناجي في دراسته حول « القومية العربية » المنشورة في العدد الثاني من ملف العمل الشهري ، الى ما اسماه « بالثورة العثمانية » ·· وكذلك في ١٩٥٨ كانت الصيغة اللبنانية ارتباكا ما كان ليؤجله سنوات الا اتفاق ارباب الصيغة ·

ويصل هذا التردد بين تقديس الصيغة والشك باركانها حدا يقوض الحلم والتشريع والمؤسسات المدنية والتربوية التي فصلت على قياسها · عندها تتقدم الهوية الوطنية ويتجزأ لبنان ، في ممارسات اليمينيين ، الى مجموعة من الطوائف تنغلق على نفسها وتصبح لها شرائعها الخاصة المنبثقة من الدين · عند ذاك تتقدم فاعلية المؤسسات التمثيلية ، ويصبح المجلس النيابي مجلسا لتصريف الاعمال والقوانين التي تمت صياغتها قبل الحرب · هذا الاتجاه نحو الانكفاء الطائفي الذي يأتي بعد الولاء اللبناني نلاحظه في الكثير من السلوك السياسي والفردي · فجريدة « العمل » مثلا ، استمرت اشهرا تحاول القاء الضوء على الادباء اللبنانيين كجبران خليل جبران ومارون عبود وحتى عمر فاخوري ، بمحاولة للتذكير بالقواسم المشتركة بين اللبنانيين · الا انها عادت ، نتيجة لظروف سياسية داخلية وخارجية الى التذكير على مدى حلقات عديدة ، ومن ضمن خطة مدروسة ، برجال الدين الموارنة الذين قدموا للطائفة الكثير · هذا الانكفاء يأتي بعد مرحلة اليأس من ترويض الفئات اللبنانية الاخرى ، ودفعها نحو القبول بالصيغة التي تعزل لبنان مما يتيح للحلم ان ينبعث من جديد وللسيطرة ان تتم ·

□

كيف يحضر مفهوم الوطن في هذه العلاقة المأساوية والصراعية بين الحلم والواقع !·

يحضر الوطن حقيقية كلية ، انه روح في التاريخ تستمر ولا تقف · انه حقيقة سابقة على كل تشكيل اجتماعي او بشري · ولا يدرك ، الا بواسطة الافكار التي ترتفع عن كل ما هو مادي · واذا تصارع ابناؤه فانما يتصارعون لا على ماهيته لانه اكثر قدسية من الصيغة ، ولانه سابق على التاريخ ويبقى بعد زواله فهو غير قابل للتطوير او التعديل ، وكل تعديل به يشكل مساسا بجوهره · لان التعديل من صنع الانسان المفترض فيه ان يحاول الاقتراب من الوطن باعتباره حالة صوفية · الوطن يمنح الهوية النفسية ويضفي على الواقع البائس بعدا يوحي بالاتحاد مع القيم المطلقة · والخشية الاشد ان يحجب الواقع وقضاياه رؤيا الوطن · وقد اتهم « مفتعلو الشغب » في لبنان بأنهم حاولوا ضرب الانتماء للوطن · ففي احد كراريس الكسليك اتهام للمطالبين بتحسين اوضاعهم المعيشية بأنهم ضربوا الوطن · ويقول جورج مصروعة في الصفحة ٧٠ من « العمل الشهري » الثاني « لان الاحوال ،